

الفصل الثاني

تعريف تنزيل الآيات على الواقع وأهميته وأنواعه وضوابطه

المبحث الأول: تعريف تنزيل الآيات على الواقع لغةً واصطلاحًا.

في هذا المبحث سيتم تعريف مصطلح تنزيل الآيات على الواقع في المطلب الأول، وبيان أهميته في المطلب الثاني.

المطلب الأول: تعريف تنزيل الآيات على الواقع

قبل تعريف المصطلح كاملاً سيتم تعريف مفرداته في اللغة وفي الاصطلاح، ثم تعريف اللفظ مركبًا.

أولاً: تعريف المصطلحات مفردة:

1. (تنزيل): التنزيل لغة:

يطلق النزول في اللغة على معينين:

الأول: الحلول في مكان والأوي به¹³⁷.

والمعنى الثاني: انحطاط وانحدار الشيء، من علو إلى سفلى، وهو أصل المعنى¹³⁸.

2. التنزيل في الاصطلاح: عُرف التنزيل في الاصطلاح بتعريفات متعددة، منها:

¹³⁷ الجوهري. أبو نصر إسماعيل بن حماد. 1987. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين. ط.4. ج.5. ص. 1829، وانظر: ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي. 1414هـ. لسان العرب. بيروت: دار صادر. ط.3. ج.11. ص.164.

¹³⁸ الزبيدي. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. د. ت. تاج العروس من جواهر القاموس. د. م. دار الهداية. ج.30. ص. 479، وانظر: ابن فارس. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. 1979م. معجم مقاييس اللغة. دمشق: دار الفكر. ج.5. ص.417.

1- "ترتيب الشيء ووضعه منزله" 139.

2- النزول على مهل، وقد يُطلق بمعنى النزول مُطلقاً 140.

3- التقريب إلى الفهم بنحو تفصيل وترجمة 141.

3. التنزيل في الاصطلاح القرآني:

مادة نزل في القرآن وما يُشتق منها من إنزال وتنزيل تفيد كلها أنه جاء من جهة العلو إلى جهة

أسفل منه 142.

والتعريف الاصطلاحي يتوافق مع التعريف اللغوي، وبهذا يكون التنزيل هو: نزول الشيء وهبوطه من علو ووضعه مرتباً في منزله.

التعريف المختار:

عند المقارنة بين التعريفات التي ذُكرت في الاصطلاح يظهر أنّ التعريف الثالث -الذي جعل التنزيل

بمعنى التقريب إلى الفهم بنحو تفصيل وترجمة- هو التعريف المناسب لمرادها من البحث؛ لأنّ التفصيل

بذكر المعاني، وتقريبها إلى الفهم بتطبيقها على الواقع هو المعنى المبتغى من التنزيل، والذي يتوافق مع المراد

في كتابة هذا البحث.

139. ابن فارس. 1979م. معجم مقاييس اللغة. ج.5. ص.417.

140. الكفوي. أيوب بن موسى الحسيني. د. ت. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص. 196.

141. أحمد رضا. 1960م. معجم متن اللغة. بيروت: دار مكتبة الحياة. ج.5. ص.441. وانظر: الحارلي. أبو الحسن علي بن أحمد

الأندلسي. 1997م. تراث أبي الحسن الحرّالي المراكشي في التفسير. الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. ص.169.

142. الشعراوي. محمد متولي. 1997 م. تفسير الشعراوي - الخواطر-. مصر: مطابع أخبار اليوم. د. ط. ج.19. ص.11777.

الآيات في اللغة: جمع آية، وتأني بمعاني مختلفة، منها: العلامة¹⁴³، والعبارة¹⁴⁴، والجماعة¹⁴⁵،

والدليل والبرهان¹⁴⁶، والأمر العجيب، والمعجزة¹⁴⁷.

الآيات في الاصطلاح: "هي طائفة من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلة كانت

أو قصيرة"¹⁴⁸. وجاءت بمعنى: "طائفة حروف من القرآن"¹⁴⁹.

(الواقع) لغة: الواو والقاف والعين أصل واحد، ويأتي الفعل وقع بمعنى سقط¹⁵⁰، ووجب، وأصاب

ونزل، وثبت¹⁵¹.

الواقع اصطلاحاً: بعد البحث في كتب المعاجم لم يتم العثور على دلالة اصطلاحية لكلمة الواقع

كما هي في مفهومنا المعاصر، وقد اجتهد بعض المعاصرين في تعريف الواقع، فقال أنّ "المقصود بالواقع

الأفعال الإنسانية التي يراد تنزيل الأحكام عليها وتوجيهها بحسبها"¹⁵².

ثانياً: تعريف "تنزيل الآيات على الواقع" باعتباره لفظاً مركباً

143 الفراهيدي. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. د. ت. كتاب العين. لبنان: دار ومكتبة الهلال. ج. 8. ص. 127.

144 الفيروزآبادي. مجد الدين أبو طاهر محمد. 2005 م. القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ط. 8. ص. 1261.

145 السبتي. عياض بن موسى بن عياض. د. ت. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. المكتبة العتيقة ودار التراث. ج. 1. ص. 56.

146 الزبيدي. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني. د. ت. تاج العروس من جواهر القاموس. ج. 37. ص. 122-127.

147 الزرقاني. محمد عبد العظيم. د. ت. مناهل العرفان في علوم القرآن. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. ط. 3. ج. 1. ص. 338-339.

148 الجرجاني. علي بن محمد بن علي الزين. 1983 م. التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط. 1. ص. 41.

149 الكفوي. أيوب بن موسى الحسيني. د. ت. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ص. 219.

150 ابن فارس. 1979 م. معجم مقاييس اللغة. ج. 6. ص. 133-134، ابن منظور. 1414 هـ. لسان العرب. ج. 8. ص. 402.

151 ابن منظور. 1414 هـ. لسان العرب. ج. 8. ص. 403.

152 النجار. عبد المجيد. 1993 م. خلافة الإنسان بين الوحي والعقل. فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ط. 2. ص. 120.

عرّف النجار مصطلح (تنزيل الآيات على الواقع) بأنه "تبيين المسالك والكيفيات التي يأخذ بها

الوحي مجراه نحو الوقوع، ويأخذ بها الواقع مجراه نحو التكيف بالزمامات الوحي" ¹⁵³.

وعرفه الدكتور عبد العزيز الضامر بأنه: "مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله

تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية" ¹⁵⁴.

وبالنظر إلى التعريفين السابقين يتضح أنّ تعريف النجار أعمق من تفسير الضامر؛ حيث شمل تعريفه

الوصل بين الوحي والواقع، مع بيان الكيفيات والضوابط.

المطلب الثاني: أهمية تنزيل الآيات على الواقع

أنزل الله ﷻ القرآن على رسوله محمد ﷺ وجعله تبياناً لكل شيء، وأخرج به الناس من الظلمات

إلى النور، وجعله كتاب هداية لهم إلى يوم الدين، وجعل الغاية العظمى من إنزاله هي تدبره والعمل به، قال

تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ ¹⁵⁵.

وتتجلى أهمية تنزيل آيات القرآن الكريم على الواقع في النقاط الآتية:

1. بيان صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وآيات القرآن

الكريم كليات تندرج تحمها العديد من الجزئيات التي تحدث في جميع الأزمنة، فنجد لها أصولاً

في القرآن صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، فالقرآن هو كتاب الله الخالد، قال الله ﷻ في

كتابه: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْأَكْتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ¹⁵⁶.

¹⁵³ النجار. 1993م. خلافة الإنسان بين الوحي والعقل. ص. 115.

¹⁵⁴ الضامر. 2007م. تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين. ص. 33.

¹⁵⁵ القرآن. ص. 38: 29.

¹⁵⁶ القرآن. الأنعام 6: 38.

2. توثيق علاقة المسلمين بكتاب ربهم؛ فيقرؤونه ويتدبرونه ويعملون به ويكون لهم منهج حياة؛ فإذا

شاهد المسلمون تنزيل الآيات عند المفسرين على واقعهم، استفادوا منها وكانت لهم حافزاً على

تنزيل الآيات على واقعهم.

3. تنبيه الأمة لحسن الاستعداد للوقائع والمستجدات قبل نزولها، ومعرفة علاجها وآثارها بعد

وقوعها؛ بالرجوع إلى كتب التفسير التي نزل مؤلفوها الآيات على واقعهم، ومن ثم ربطها بقرائن

الأحوال الحاضرة والاستفادة منها.

4. توثيق الأحداث البارزة في عصر المفسر الذي يعتبر جزءاً من مجتمعه، يعايش قضاياهم، ويتفاعل

مع الأحداث التي تستجد في عصره، ويجهد في إيجاد حل لها من القرآن الكريم.

5. معرفة سيرة المفسر الذاتية، فقد يكتب المفسر شيئاً من مذكراته الشخصية في ثنايا الآيات

المناسبة لتنزيلها على أحواله، فنجد فيها ما لا نجد في كتب التراجم المتخصصة في ذكر سير

الرجال والعلماء.

6. معرفة موقف المفسر من الحدث النازل سواء كان بالتفاعل معه ومحاوله علاجه، أو بالصد عنه؛

وذلك للاستفادة من هذه التجارب في المستقبل¹⁵⁷.

ويُضاف إلى ما تقدم:

7. تقريب معنى الآيات للعقول؛ لأنّ مشاهدة الناس للآيات تنطبق على واقعهم تجعلها راسخة في

أذهانهم.

8. بيان تنوع الموضوعات التي وردت في القرآن، والتي تلامس واقع كافة المجتمعات.

¹⁵⁷ الضامر. 2007م. تنزيل الآيات عند المفسرين دراسة وتطبيق. ص. 79-82. وانظر: الرشيدى. خديجة سائر. 2020م. منهج

الطريفي في تنزيل الآيات على الواقع من خلال كتابه "التفسير والبيان لأحكام القرآن" (رسالة ماجستير). قطر: جامعة قطر. ص. 96،

.97

9. أنّ هذا مسلك أثري سبقنا إليه الصحابة رضي الله عنهم؛ فمن مارس تفسيرهم علم أنهم كانوا ينزلون

الآيات على الواقع، ووجب علينا أن نحذو حذوهم.

10. أنّ في هذا إحياء لصور من تدبر القرآن الكريم.

وحاجة الأمة الإسلامية اليوم ماسة إلى تنزيل آيات القرآن على واقعهم؛ حيث كثرت فيه المستجدات

العصرية، التي تقتضي الرجوع إلى الدستور والكتاب الخالد، الذي جعله الله ﷻ تبياناً لكل شيء، لا سيما

وقد انشغل كثير من المسلمين عن كتاب ربهم بملهيات العصر الحديث، ولا سبيل إلى النجاة إلا بعودة

المسلمين إلى كتاب ربهم، والوقوف عند آياته، وتربية الأجيال القادمة على ذلك.

المبحث الثاني

أنواع تنزيل الآيات على الواقع

يتنوع تنزيل الآيات على الواقع بأنواع متعددة، يمكن حصرها باعتبارين، تفصيلها في المطالب

الآتية¹⁵⁸:

المطلب الأول: أنواعه باعتبار التصريح والتلميح

1- تنزيل التصريح: هو أن يصرح المفسر بأن معنى هذه الآية حاصل في واقعه، ويعبر عن ذلك

أثناء تنزيهه للآية، كقوله: (كما هو الحاصل في العصر الحالي)، أو (وهذا يقع كثيراً في مجتمعنا)

وغيرها من العبارات التي تفيد تصريح المفسر بأن ما يكون في واقعه يشابه ما جاءت به الآية

الكريمة، مثل قول ابن باديس بعد تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ

دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾¹⁵⁹ "إذا علمت هذه الأحكام،

فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً

في هذا الضلال؛ فتراهم يلدغون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات، يسألونهم

حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير

ذلك مما يسألون"¹⁶⁰.

¹⁵⁸ الضامر. 2007م. تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين. ص. 71- 78.

¹⁵⁹ القرآن. الإسراء 17: 56.

¹⁶⁰ ابن باديس. 1995م. تفسير ابن باديس. ص. 119.

2- تنزيل التلميح: هو أن يورد المفسر أنّ معنى الآية حاصل في زمانه على سبيل التلميح والتعريض،

دون التصريح بذلك؛ وقد يعود السبب في ذلك إلى الحالة السياسية التي يعيش فيها المفسر،

أو غير ذلك من الأسباب التي تضطره إلى عدم التصريح خشية الإيذاء والتكيل، فيتخذ القرآن

سبيلاً لتوجيه الناس من خلال تنزيله على واقعهم، ومثال ذلك ما قاله ابن باديس بعد تفسيره

لقول الله ﷻ: ﴿لَاَعْدَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَدْبَحْتَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ

﴿١٦١﴾ "ليس في الآية ما يفهم خصوص نتف الريش من لفظ العذاب الشديد، وإنما فهم

ابن عباس ﷺ وأئمة من التابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار؛ فإن نتف ريشه يعطل خاصية

الطيران فيه، فيتحول من حياة الطير إلى حياة دواب الأرض، وذلك نوع من المسخ، وقد علم

أن المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا، فلهذا فسروا العذاب الشديد بنتف الريش، والإنسان

خاصيته التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب، فمن حرم إنساناً - فرداً أو جماعة - من العلم

فقد حرمه من خصوصية الإنسانية، وحوله إلى عيشة العجماوات، وذلك نوع من المسخ، فهو

عذاب شديد، وأي عذاب شديد؟!¹⁶² ويُلح من هذا التنزيل تعريضه بدور الاستعمار

الفرنسي لبلاده، والذي حارب العلم وأهله، لكنّ ابن باديس عرض بذلك ولم يذكر الاستعمار

الفرنسي في تفسيره؛ خوفاً من محاربتة، ومنعه عن التعليم¹⁶³.

المطلب الثاني: أنواعه باعتبار الجزئية والكلية¹⁶⁴.

¹⁶¹ القرآن. النمل: 27: 21.

¹⁶² ابن باديس. 1995م. تفسير ابن باديس. ص. 269.

¹⁶³ الضامر. 2007م. تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين. ص. 175.

¹⁶⁴ المرجع السابق. ص. 76.

والتنزيل بحسب الجزئية والكلية يكون على ثلاثة أنواع:

1- تنزيل كلي: وهو أن يأتي المفسر بآية وفي الواقع ما يطابق معناها تمامًا، ومن ذلك ما ذكره ابن

عثيمين عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن

تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِبْحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١٦٥﴾ فقد نزل الآية على الواقع

فقال: "وفي هذه الآية دليل على أنه يجب على الإنسان أن يتثبت فيما ينقل من الأخبار ولا

سيما مع الهوى والتعصب، فإذا جاءك خبر عن شخص وأنت لم تتق بقول المخبر فيجب أن

تتثبت، وألا تتسرع في الحكم؛ لأنك ربما تتسرع وتبني على هذا الخبر الكاذب فتندم فيما

بعد" 166.

2- تنزيل جزئي: وذلك بأن يأتي المفسر بالآية وفي الواقع ما يطابق جزءًا منها، ومثال ذلك ما

فعله ابن باديس عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿فَعَلَىٰ اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ

مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٦٧﴾، حيث نزل جزءًا من

الآية وهو قوله ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٦٨﴾﴾، فقال: "ما أكثر ما رأينا من قطعهم

ما حصلوا عليه من علم، عن العلم؛ فوقف بهم عند ما انتهوا إليه، فجمدوا وأكسبهم الغرور

بما عندهم، فتعظموا وتكلموا فيما لم يعلموا، فضلوا وأضلوا، وكانوا على أنفسهم وعلى الناس

165. القرآن. الحجرات 49: 6.

166. العثيمين. محمد بن صالح. 1425هـ. تفسير القرآن الكريم (تفسير الحجرات - الحديد). الرياض. دار الثريا للنشر والتوزيع. ص. 26.

167. القرآن. طه 20: 114.

168. القرآن. طه 20: 114.

شر فتنه وأعظم بلاء، فبمثل هذه الآية الكريمة يداوي نفسه من ابتلى بهذا المرض، فيقلع عن جموده وغروره، ويزداد مما ليس عنده علم ما لم يعلم"169.

3- تنزيل عكسي: وهو أن ينزل المفسر الآية على ما يخالف معناها، كأن يجد المفسر في واقعه

شيئاً نمت عنه الآية الكريمة، فينزّلها على ذلك الواقع المخالف لمعناها؛ ليعالجه بما جاء فيها،

وله أمثلة كثيرة، منها تنزيل ابن باديس لقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ

أَثَامًا ﴿٦٨﴾¹⁷⁰، فقد كان الناس في عصره يدعون غير الله على خلاف ما جاء في الآية،

فنزلها على واقعه قائلاً: "ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس (يا ربي والشيخ)، (يا ربي وناس

ربي)، (يا ربي والناس الملاح)، وهذا من دعاء غير الله، فإياك أيها المسلم وإياه، وادع الله ربك

وخالقك وحده وحده وحده، وأنف الشرك راغم"171

169. ابن باديس. 1995م. تفسير ابن باديس. ص.345.

170. القرآن. الفرقان 25: 68.

171. ابن باديس. 1995م. تفسير ابن باديس. ص. 222.

المبحث الثالث

ضوابط تنزيل الآيات على الواقع

ذكر لنا رسول الله ﷺ أنّ طائفة من الناس سيضلّون الطريق بسبب تأويلهم للقرآن على غير معناه، وميلهم عن المعنى الصحيح، فقال: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُفَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ»¹⁷². ولذا وجب على كل من أراد تنزيل آيات القرآن على الواقع الذي يعيش فيه أن يلتزم بالضوابط التي تجعل فهمه وتنزيله للآيات صحيحًا، حتى لا يجترأ أحد على تفسير كلام الله ﷻ وربطها بواقع الناس إلا بضوابط شرعية، وهناك جملة من الضوابط منها ما يتعلق بالمفسّر نفسه، ومنها ما يتعلق بالآيات المراد تنزيلها على الواقع، والبعض الآخر يتعلق بالحكم المراد تنزيله. وفي هذا المبحث سيتم ذكر هذه الضوابط والتي ذُكرت في أبحاث سابقة لهذا البحث¹⁷³، لكن سيتم نقلها هنا مختصرة مع التعليق على بعضها والإضافة عليها.

المطلب الأول: الضوابط المتعلقة بالمفسّر

1- صحة الاعتقاد؛ لأنّ صحة العقيدة لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما يتأثر به الإنسان يظهر

حتمًا في كلامه منطوقًا أو مكتوبًا¹⁷⁴، وينبغي على المفسر الذي ينزل الآيات على واقعه أن

¹⁷² ابن حنبل. أبو عبد الله أحمد بن محمد. 2001. مسند الإمام أحمد بن حنبل. مسند أبي سعيد الخدري ﷺ. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. 18. ص. 295. رقم الحديث 11773. النسائي. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. 2001. السنن الكبرى. كتاب الخصائص. ذكر قول النبي ﷺ: «علي يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله». بيروت: مؤسسة الرسالة. ج. 7. ص. 466. رقم الحديث: 8488. وهو حديث صحيح. صححه محقق المسند. رقم الجزء: 17. ص. 391. رقم الحديث: 11289.

¹⁷³ مثل بحث الضامر. عبد العزيز بن عبد الرحمن. 1425هـ. تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة من خلال المنار، ومجالس التذكير، والظلال. (بحث ماجستير)، وكتاب القطان. مناع بن خليل. 2000م. مباحث في علوم القرآن. وغيره.

¹⁷⁴ معبد. محمد أحمد محمد. 2005م. نفعات من علوم القرآن. القاهرة: دار السلام. ط. 2. ص. 125.

يتجرد من التعصب المذهبي، لأنّ حمل آيات القرآن على عقيدة معينة، أو مذهب معيّن، هو

-ولا شك- من بدع التفاسير التي أحدثها بعض الفرق الضالة¹⁷⁵، وبعض المعتزلة في تفاسيرهم

يؤوّلون الصفات حسب ما يعتقدون، ففي قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ

﴿٢٣﴾﴾¹⁷⁶ ذكروا أنّ "النظر إلى الله تعالى لا يصح؛ لأنّ النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو

الشيء طلباً للرؤيته، وذلك لا يصح إلا في الأجسام، فيجب أن يتأول إلى ما يصح النظر إليه

وهو الثواب"¹⁷⁷، وإنما قالوا ذلك: لاعتقادهم أنّ الله منزّه عن الجهة ولذا يستحيل وقوع النظر

عليه، فأخضعوا آيات الله لأرائهم، وقولهم هذا يعدّ من القول المذموم، ويخالف ما جاء في كتب

تفسير أهل السنة والجماعة، والأمثلة في ذلك كثيرة.

2- العلم الشرعي: والمراد به العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيجب على من تصدّى

للتفسير أن يكون عالماً بالعقيدة الصحيحة وأصول الدين، وبالسنة وعلومها؛ لأنّ السنة شارحة

للقرآن ومبيّنة لما جاء فيه من أحكام، وينبغي كذلك أن يكون عالماً بالفقه وأصوله؛ لكي

يستنبط الأحكام وينزلها على الواقع في مواضعها الصحيحة؛ فهو بمكانة المفتي في استنباط

الأحكام من القرآن الكريم وتنزيلها على الواقع¹⁷⁸، وقد ذكر الخطيب البغدادي شروط المفتي

ومنها: "العلم بكتاب الله على الوجه الذي تصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام محكمًا

ومتشابهًا وعمومًا وخصوصًا ومجمالًا ومفسرًا وناسخًا ومنسوخًا. والثاني: العلم بسنة رسول الله

¹⁷⁵. الغماري. عبد الله محمد الصديق. 1986م. بدع التفاسير. المغرب: الدار البيضاء. ط.2. ص. 145.

¹⁷⁶. القرآن. القيامة 75: 22-23

¹⁷⁷. القاضي. عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار. 2006م. تنزيه القرآن عن المطاعن. الجيزة: مكتبة الناظرة. ط.1. ص. 447.

¹⁷⁸. عبد العزيز بن عبد الرحمن. 1425هـ. تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة من خلال المنار، ومجالس التذكير، والظلال. (بحث

ماجستير). ص. 73.

الثابتة من أقواله وأفعاله، وطرق مجيئها في التواتر والآحاد، والصحة والفساد، وما كان منها

على سبب أو إطلاق. والثالث: العلم بأقوال السلف فيما أجمعوا عليه، واختلفوا فيه؛ لاتباع

الإجماع، ويجتهد في الرأي مع الاختلاف. والرابع: العلم بالقياس الموجب؛ لرد الفروع المسكوت

عنها إلى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها، حتى يجد المفتي طريقا إلى العلم بأحكام النوازل،

وتمييز الحق من الباطل"179.

3- حسن النية وصحة المقصد: وأن يكون هدف المفسر الذي أراد منه تنزيل هذه الآيات على

الواقع الخير العام، وإسداء المعروف لصالح الإسلام، وأن يتطهر من أعراض الدنيا ليسدّد الله

خطاه، وينفع به¹⁸⁰. وقد وردت أقوال كثيرة عن الصحابة والتابعين تحذّر من تأويل الآيات

بغير علم، أو تأويلها حسب الهوى، يقول ابن عثيمين رحمته الله:¹⁸¹ "ولا يحل لأحد أن يفسر آية

من كتاب الله وهو لا يعلم معناها، وإنما يفسرها بالظن والتخمين؛ لأنّ الأمر خطير؛ لأنك إذا

فسرت آية إلى معنى من المعاني فقد شهدت على الله إنه أراد كذا وكذا وهذا خطر عظيم،

ولهذا يجب على الإنسان التحرز من التسرع فيما ليس له به علم بالنسبة للأحكام الشرعية،

وكذلك غيرها ولكن هي أشد، وقد قرن الله تعالى القول عليه بلا علم، قرنه بالشرك، فقال

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا يَكْفُرُونَ﴾

179. الخطيب البغدادي. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت. 1421هـ. الفقيه والمتفقه. السعودية: دار ابن الجوزي. ط. 2. ج. 2. ص.

331-330.

180. القطان. مناع بن خليل. 2000م. مباحث في علوم القرآن. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. ط. 3. ص. 342.

181. ابن عثيمين. محمد بن صالح بن محمد. 1426هـ. شرح رياض الصالحين. الرياض. دار الوطن للنشر. ج. 6. ص. 112.

تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٣٣﴾¹⁸²، والكلام

السابق يدل على حرمة انتفاع المفسر للآيات في تنزيلها على الواقع بما يحقق شيئاً من هواه، أو أغراض دنيوية، أو مذهبية أو عقديّة، فكل ذلك من القول المذموم.

4- أن يكون المفسر متبصراً بالواقع المعاصر، عالماً بأحوال الناس، وألا يكون مجرد حافظ

للنصوص، دون ربطها بواقعها؛ لأنّ من لم يفهم الواقع وإن فهم الآية فقد يعجز عن التطبيق¹⁸³.

وقد تبه على ذلك ابن القيم رحمته الله بقوله: "ولا يتمكّن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق

إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقّه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان

قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة

حكم الله ورسوله¹⁸⁴.

فإنّ تمثيل المفسر بآيات القرآن الكريم في واقع لم يدركه نوع خطأ في تأويل القرآن، وقد يلزمه إضلال

الناس. وقد عاب السلف على الخوارج تنزيل آيات نزلت في الكفار في عصاة المؤمنين، قال عبد الله بن

¹⁸² القرآن. الأعراف: 7: 33.

¹⁸³ الضامر. 1425هـ. تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة من خلال المنار، ومجالس التنكير، والظلال. (بحث ماجستير) المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى. ص. 77.

¹⁸⁴ ابن القيم. محمد بن أبي بكر بن أيوب. 1423هـ. إعلام الموقعين عن رب العالمين. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. ط. 1. ج. 1. ص. 69.

عمر في الخوارج: «إِنَّهُمْ أَنْطَلَقُوا إِلَى آيَاتِ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»¹⁸⁵، فلا بدّ من التحقق من الواقع قبل تنزيل الآيات عليه.

5- مراعاة أحوال الفترة التي نزل فيها النص القرآني؛ حتى لا يستخدم المفسر بعض الآيات التي

نزلت في فترة معينة في تطبيق الوقائع التي حدثت في الفترة التي هو فيها، فمرحلة المكّي تختلف عن المدني، وحالة السّلم تختلف عن حالة الحرب¹⁸⁶. ولذا ينبغي على من أراد تنزيل الآيات على الواقع أن يراعي واقعه؛ "فمشروع كتفسير كتاب الله لا يمكن أن يتم بمعزل عن أثر الزمان والمكان على الذي يقصده سلبيًا كان أو إيجابيًا، وفهم مفسر معيّن لآية أو آيات في فترة زمنية معيّنة لا يكاد يكون نفس الفهم لمفسر آخر في فترة زمنية أخرى، وذلك للبعد الزماني والمكاني"¹⁸⁷ وهذا يتطلّب حذق المفسر ومعرفته بظروف واقعه؛ ليكون تنزيل الآيات عليه صحيحًا.

المطلب الثاني: الضوابط المتعلقة بآيات الأحكام المراد تنزيلها على الواقع

إنّ الأحكام في الشريعة الإسلامية إما أن تكون ثابتة لا تقبل الاجتهاد ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، وإما أن تتغير حسب المصلحة، وقد بيّن ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله: "الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة، ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدّرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك. فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد

¹⁸⁵ البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. 1422هـ. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. كتاب: استتابة المرتدين وقتالهم: باب: قتل الخوارج والملحدّين بعد إقامة الحجة عليهم. بيروت: دار طوق النجاة. ج. 9. ص. 16.

¹⁸⁶ الضامر. 1425هـ. تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة من خلال المنار، ومجالس التذكير، والظلال. (بحث ماجستير) ص. 75-76.

¹⁸⁷ توري. عبد الكريم. أثر الزمان على تفسير القرآن الكريم، دراسة مقارنة بين جامع البيان للطبري وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا. ماليزيا: جامعة العلوم الإسلامية. ص. 14-15 بتصرف يسير.

يخالف ما وُضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً، كمقادير التعزيرات، وأجناسها، وصفاتها؛ فإنّ الشارع يُنوّع فيها بحسب المصلحة¹⁸⁸، و"الأصل في الشريعة ثبات الأحكام"¹⁸⁹

وقد ذكر الزحيلي جملة من الثوابت في الشريعة الإسلامية يمكن نقلها هنا باختصار:

1- إنّ الأحكام الأساسية الثابتة في القرآن والسنة والتي جاءت الشريعة لتأسيسها بنصوصها

الأصلية: الأمانة والناحية، كحرمة الظلم، وحرمة الزنى والربا، وشرب الخمر والسرقه، ووجوب

قمع الجرائم، وحماية الحقوق، فهذه لا تتبدل بتبدل الزمان، بل هي أصول جاءت بها الشريعة

لإصلاح الزمان والأجيال، وتتغير وسائلها فقط.

2- إنّ أركان الإسلام، وما علم من الدين بالضرورة، لا يتغير ولا يتبدل.

3- إنّ جميع الأحكام التعديدية التي لا مجال للرأي فيها، ولا للاجتهاد، لا تقبل التغيير ولا التبدل

بتبدل الأزمان والأماكن والبلدان والأشخاص.

4- إنّ أمور العقيدة أيضاً ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ولا تقبل الاجتهاد، وهي ثابتة منذ نزولها ومن

عهد الأنبياء والرسل السابقين، حتى تقوم الساعة، ولا تتغير بتغير الأزمان¹⁹⁰.

ولا بدّ لكل من أراد تنزيل الآيات على الواقع أن يفرّق بين الثوابت والمتغيرات من الآيات، "والثوابت

يُقصد بها القطعيات ومواضع الإجماع التي أقام الله بها الحجة بينة في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ولا

مجال فيها لتطوير أو اجتهاد ولا يحل الخلاف فيها لمن علمها،... أمّا المتغيرات فيقصد بها موارد الاجتهاد،

¹⁸⁸ ابن القيم. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. 1432 هـ. إغاثة اللهفان في مصابيد الشيطان. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد. ج.1. ص.

330-331.

¹⁸⁹ الزحيلي. محمد مصطفى. 2006 م. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة. دمشق: دار الفكر. ج.1. ص. 361.

¹⁹⁰ الزحيلي. 2006 م. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة. ص. 361. بتصرف.

وكل ما لم يقد عليه دليل قاطع من نص صحيح أو إجماع صريح" ¹⁹¹.

المطلب الثالث: الضوابط المتعلقة بالأحكام المراد تنزيل الآيات عليها

تتجدد النوازل والمستجدات في كل عصر، ولذا يجب على أهل العلم أن يجتهدوا في أحكام النوازل، ويكون الاجتهاد فرض عين على العالم إذا لم يوجد غيره في الناحية، أما إن كان فيها غيره فيكون فرض كفاية ¹⁹²، ويتعين على المفسر الذي يريد أن ينزل الآية في النازلة أن يتصورها، ثم يعرف حقيقتها من كل النواحي؛ ليكون التنزيل عليها صحيحاً كما بين السعدي رحمته الله أن جميع المسائل التي تحدث في كل وقت، سواء حدثت أجناسها أو أفرادها، يجب أن تُتصور قبل كل شيء، فإذا عُرفت حقيقتها، وشُخصت صفاتها، وتصورها الإنسان تصوراً تاماً بذاتها ومقدماتها وتناجها، طُبقت على نصوص الشرع وأصوله الكلية؛ لأنّ الشرع يحلّ جميع المشكلات، سواء كانت متعلقة بالجماعات أو الأفراد، ويحلّ المسائل الكلية والجزئية، يحلها حلاً مرضياً للعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، ويشترط أن ينظر فيه البصير من جميع نواحيه وجوانبه الواقعية والشرعية ¹⁹³.

وقد فصل الجيزاني مدارك الحكم على النوازل في كتابه فقه النوازل، وتبّه على أنّ مدارك الحكم على النوازل يكون بالتصوّر، ثم التكييف، ثم التطبيق، ولا بد لها من هذا الترتيب، فإن وقع في أحدها خلل نتج عنه خلل في الذي يليه ¹⁹⁴.

¹⁹¹ عاشور. مجدي محمد محمد. 2002م. الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي. الإمارات العربية المتحدة: دار البحوث

للدراستات الإسلامية وإحياء التراث. ص. 20.

¹⁹² النووي. أبو زكريا محيي الدين يحيى. د. ت. المجموع شرح المهذب. دمشق: دار الفكر. ج. 1. ص. 45.

¹⁹³ السعدي. عبد الرحمن بن ناصر. 1982م. الفتاوى السعدية. الرياض: مكتبة المعارف. ط. 2. ص. 190-191.

¹⁹⁴ الجيزاني. محمد بن حسين. 2006م. فقه النوازل "دراسة تطبيقية تأصيلية". المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي. ط. 2. ج. 1. ص. 38.

ومما سبق يمكن القول أنّ:

- تصور النازلة هو أمر في غاية الأهمية؛ لأنّ الجهل بحقيقتها يترتب عليه الخطأ في الحكم عليها،

و"الحكم على الشيء فرع عن تصوره"¹⁹⁵، وصحة الحكم تكون متوقّفة على صحة التصور.

- تكييف النازلة، وذلك بردها إلى الأصل الشرعي لها، والبحث عن حكمها في القرآن الكريم، أو

السنة النبوية، أو الإجماع.

- التطبيق؛ وذلك بتنزيل الحكم على النازلة، والذي تمّ الوصول إليه في المرحلة الثانية (تكييف النازلة)

وذلك بالجواز من عدمه.

¹⁹⁵ ابن عثيمين. محمد بن صالح بن محمد. 1428هـ. الشرح الممتع على زاد المستقنع. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي. ج.6.